العربية النفطية بدأت بعد. بل إن فكرة السفر كانت غريبة، مستبعدة، قاصرة على سفر المدرسين وكانوا يتقاضون مرتباتهم من الحكومة المصرية. نجح جمعة فى الحصول على جواز سفر وإذن خاص، وسافر إلى ليبيا فى زمن لم يكن فيها من المصريين إلا البعثة الدبلوماسية، بعد ثلاث سنوات عاد صامتا لا يفضى بأى تفاصيل عن عمله هناك أو حياته لكن أحد زملائه قال إنه يحتفظ فى بيته بصورة مع الملك السنوسى فى إحدى زوايا الطريقة الصوفية السنوسية، بدا ميالا إلى الصمت، عزوفًا، حريصًا على أداء الصلاة فى أوقاتها، لكن أجهزة الأمن المتخصصة لا تعرف هذه المظاهر، تكرر استدعاؤه بين فترة وأخرى، لكنه لم يدرج كعنصر خامل إلا بعد إحالته إلى التقاعد عقب التأميمات الكبرى، وانقطاع أذانه من المؤسسة، ويؤكد البعض أنه يجاور سيدى عمر بن الفارض حتى الآن. ما بقى منه عند عم محمد دقته الشديدة فى التوقيع عند الحضور والانصراف، ومواظبته على أداء الصلاة وإخلاصه فى الأذان، سعى العاملون إليه وقولهم إن الله غفور رحيم. كان المصلون ينصرفون جميعًا عدا هو وعم محمد، يبقيان قليلاً، أحيانًا يبسط يداه بالدعاء أو يتمتم ثم يصافحه بحرارة وينصرف صامتًا.

من الذين حيروا عم محمد أيضًا بيومى مجنون الحنفيات، كان يفارق أشد الاجتماعات حساسية فجأة ويتجه عبر الممرات والصالات إلى دورة مياه فى أحد الطوابق - عدا الثانى عشر - ليغلق صنبورًا مفتوحًا، أو ليحكم آخر يسرسب الماء. كانت حاسة السمع لديه عجيبة، لم يسمع عم محمد أو غيره بمثيل لها. لا ترصد إلا صوت قطرات الماء المنسابة نتيجة إهمال، قبل انصرافه يطوف بدورات المياه كلها، والمعامل الخاصة، حتى صنابير